الأشباه والنظائر في القرآن الكريم بين الحقيقة والمجاز (سورة الأنعام مثالاً)

د: مريم عبد الحسين التميمي
رئيس قسم القرآن والتربية الإسلامية
كلية التربية/ جامعة الكوفة

1432هـ
2011م

المقدمة:

لقد حظي علم الأشباه والنظائر باهتمام العلماء قديما وحديثا؛ مما أدى إلى كثرة المؤلفات في هذا العلم, ولقد استأثر القرآن الكريم بقسم كبير من هذه الدراسات وذلك عن طريق محاولة العلماء حصر هذه الظاهرة في الآيات التي تحويها في النص القرآني, ولكنهم تركوا تلك النصوص غفلاً عن المقارنة والموازنة والتدقيق في أغلب الأحيان.

وعند مراجعة النص القرآني نجد أن هناك غاية فنية ونكتة دلالية في استعمال تعابير الأشباه والنظائر في كل موقع جاءت فيه؛ مما ولّد فكرة هذا البحث وذلك لتسليط الضوء على خصوصية النص القرآني في استعماله تلكم التعابير في موضوع الحقيقة والمجاز, ولتجلية دلالتها الخاصة في الاستعمال القرآني الدقيق والمعجز. فدرس بعض وجوه المعاني الحقيقية في الفصل الأول, وبعض مجازات تلك التعابير في الفصل الثاني, وقد اتخذ مثالا على ذلك سورة الأنعام؛ ليتحدد نطاق البحث, ولتتجلى الفائدة.

الحقيقة والمجاز

الحقيقة لُغة: ((ما يصير إليه حق الأمر ووجوبه))[1]. و((الحقيقة مشتقة من الحقّ والحقُّ نقيض الباطل وجمعه حقوق وحقاق))[2]. و((الحاء والقاف أصل واحد يدل على إحكام الشيء وصحته. فالحق نقيض الباطل))[3].

المجاز لغة: ((المجاز مشتق من جَوَز، جُزْت الطريق وجاز الموضع جَوْزا وجَووَّزا وجَوَازا ومجازا. وجازه: سار فيه وسلكه وأجازه: خلّفه وقطعه وأجازه أنقذه))[4]. و((الجيم والواو والزاي أصلان احدهما قطعُ الشيء، والآخر وسط الشيء. فأما الوسط فجوز كل شيء وسطه))[5].

ذكر ابن جني(ت 392هـ) أن ((الحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة))[6].

ويقول ابن فارس (ت395هـ) ((الحقيقة: الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم ولا تأخير))[7]. وأما المجاز عنده ((فمأخوذ من " جَازَ يَجُوزُ " إذا استنّ ماضيا "ماشيا"))[8].

أما عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) فقد ذكر أن الحقيقة هي: ((كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع وقوعاً لا يستند فيه إلى غيره فهي حقيقة))[9]. وأما المجاز فقد عرّفه بأنه ((كل كلمة أريد بها غير ما وضعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز))[10].

ويقول عبد القاهر الجرجاني بشأن ما قالوا أن المجاز أبلغ من الحقيقة: ((وليس العجب إلا أنهم لا يذكرون شيئاً من المجاز إلّا قالوا: إنه أبلغ من الحقيقة فليت شعري إن كان لفظ " أسد " قد نقل عما وضع له في اللغة وأزيل عنه، وجعل يراد به الشجاع هكذا غفلا ساذجا. ومن أين يجب أن يكون قولنا " أسد " ابلغ من قولنا شجاع وهكذا الحكم في الاستعارة، هي وان كانت في ظاهر المعاملة في صفة اللفظ، وكنا نقول

هذه اللفظة مستعارة، وقد استعير له اسم " الأسد " فان مآل الأمر إلى أن القصد بها إلى المعنى))[11].

أما الجاحظ (ت255هـ) فقد قابل بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي. فكلمة " الأكل " عنده تحمل معنى حقيقيا. فإذا قالوا: أكله الأسد، فإنما يذهبون إلى الأكل الحقيقي المعروف. لكن في قوله تعالى: ((إنما يأكلون في بطونهم نارا)) هذا خرج الأكل لمعنى مجازيا[12].

أما ابن قتيبة (ت 270هـ) فيقول: ((وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها: طرق القول ومأخذه. ففيها الاستعارة والتمثيل والكناية.... الخ))[13].

وقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب متحديا إياهم وهم أصحاب الفصاحة والبلاغة و((حين نزل القرآن الكريم بهذه اللغة كلّم الله بها العرب على قدر كلامهم وطرق تعبيرهم وسبل فصاحتهم حقيقة ومجازا، وليس ذلك بغريب عليهم ولا بمنأى عنهم – وإن كان نظمه فوق مستوى قدراتهم – ولم يعترض منهم مُعترض على كثرة ما في القرآن من المجاز...))[14].

وقد استخدم القرآن الكريم لفصاحته وبلاغته المجاز فتحدث بأسلوب معجز عن ألفاظ لو تأملناها نجد في طياتها معان فلسفية عميقة.

المبحث الأول:

ألفاظ الأشباه والنظائر التي استعمِلت استعمالا مادياً حقيقياً

وردت في القرآن الكريم ألفاظ متشابهة ومتناظرة وقد استعملها القرآن الكريم بدلالات مختلفة مثل المجيء والإتيان في قوله تعالى: ((فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون)) (الأنعام/5).

فالمجيء هنا لفظ يناظر الإتيان ولكن دلالته تختلف عن دلالة الإتيان فقد استعمل القرآن الكريم الإتيان هنا استعمالا حقيقيا.

عرف الإتيان على أنه: ((المجيء, أتيته أتيا وإتيا وإتيانا وإتيانة ومأتاة: جئته))[15]. و((تقول أتاني فلان إتيانا وأتيا وأتية وأتوة واحدة))[16].

الفرق بين قولك جاء فلان وأتى فلان: إن قولك جاء فلان كلام تام لا يحتاج إلى صلة وقولك أتى فلان يقتضي مجيئه بشيء؛ ولهذا يقال جاء فلان نفسه ولا يقال أتى فلان نفسه، ثم كثر استعمال ذلك حتى استعمل أحد اللفظين في موضع الآخر[17].

وقيل أيضا: ((من ذلك جاء وأتى، فالأول يقال في الجواهر والأعيان والثاني في المعاني والأزمان ولهذا ورد جاء في قوله: ((وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ)) (يوسف/72). و((أَتَى أَمْرُ اللَّهِ)) (النحل/1). و((أَتَاهَا أَمْرُنَا)) (يونس/24). وقال الراغب (ت 502هـ): الإتيان المجيء بسهولة فهو اخص من مطلق المجيء))[18].

خرج الإتيان هنا عن دلالة المجيء فاستعمله القرآن الكريم للدلالة على حلول العذاب بالمشركين بعد تكذيبهم الحق الآتي من عند الله ((سوف يأتيهم خبر العذاب الذي ينزله الله بهم عقوبة على كفرهم، وهذا العذاب هو الذي كانوا به يستهزئون)) [19].

واستعمل الإتيان أيضاً ((دلالة على الإصابة والحصول " أصابتهم بما توعدهم به الله"))[20].

كما استعمل الإتيان أيضاً للدلالة على الظهور أي ظهور ما كان خافيا عنهم ((ليترقبوا إذن أن يأتيهم الخبر اليقين عما كانوا به يستهزئون ... أي ينكشف لهم الحق أمام العذاب المترقب المجهول))[21].

و نلاحظ أن القرآن يستعمل ألفاظ متناظرة لتدل إحدى الألفاظ على المعنى الحقيقي ويدل المعنى المناظر على المعنى المجازي.

وهكذا نجد أن (الإتيان) هنا استعمل للدلالة على نزول العذاب وحلوله بهم بعد تكذيبهم للحق وهذا العذاب واقع بهم لا محالة فكان استعماله استعمالا حقيقيا. وجاء في تعبير آخر على أنه بمعنى الظهور وبيان الخفايا وهذا الظهور ظهورا حقيقيا لا مجال معه للشك. وجاء بتعبير آخر للدلالة على الإصابة والحصول أي إصابتهم بما توعدهم به الله.

وقوله تعالى: ((ولو ترى إذ وقفُوا على النار فقالوا يا ليتنا نُرَّدُ ولا نُكذّبُ بآيات رَبّنا ونكون من المؤمنين)) (الأنعام/27).

وقوله تعالى: ((ولو ترى إذ وقفُوا على رَبّهم قال أليس هذا بالحَقّ قالوا بلى ورَبنا قال فَذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون)) (الأنعام/30).

((الوقوف خلاف الجلوس، وقَف بالمكان وقفا ووقوفا فهو وَاقف، والجمع وقف ووقوف))[22]. و((وقفَ يَقفُ وقوفا: دام قائما))[23]. و((وقفته أنا وكذا وقفتها. وَقفا: فَعَلت بها ما أوقفها أو جعلها تَقف))[24].

وإذا كان (الوقوف) خلاف الجلوس فالقرآن الكريم استعمله في قوله تعالى: ((وقِفُوا على النار)) للدلالة على مشاهدتهم لها بعد سيرهم إليها ((أُبلغوا عليها بعد

سيرٍ إليها وهو يتعدى بـ (على) والاستعلاء المستفاد بـ (على) مجازي معناه قوة الاتصال بالمكان، فلا تدل (على) على أن وقوفهم على النار كان من أعلى النار))[25].

وقد أضاف بعض المفسرين بعض حيثيات الوقوف الحسي ومنها المعاينة والاطلاع وحتى الدخول لمعرفة شناعة العذاب وقوته ((لو تراهم حيث يوقعون على النار حتى يعاينوها، أو يطلعون عليها، ويدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت أمرا شنيعا))[26].

وجاء الوقوف للدلالة على الحبس ((وقوف المشركين على النار التي تكون تحتهم وحبسهم عليها ومعاينتهم لها، فان هذه الحالة ادعى إلى المسكنة والذلة. وان الوقوف على النار وما يترتب عليه في المستقبل قد حُكي بصيغة الماضي فالتعبير عن المستقبل باللفظ الموضوع للماضي يفيد الاعتبار وإزالة الشبهة، والتوكيد))[27].

وجاء الوقوف أيضا للدلالة على الاطلاع على النار ((أروها حتى يعاينوها أو اطلعوا عليها اطلاعا وهي تحتهم وأُدخلوها فعرفوا مقدار عذابها))[28].

أما (الوقوف) في قوله تعالى: ((ولو ترى إذ وقِفوا على رَبهم)) فالوقوف هنا مختلف عن وقوفهم على النار، للدلالة على الوقوف في حضرة الله حيث يقف العبد بساحة ربه ليحاسب ويجازى على ما فعله في الحياة الدنيا ((وقِفوا على جزاء ربهم. وقِيل: عرفوه حقَّ التعريف))[29].

وقيل بأن الوقوف هنا في قوله تعالى: (وقِفوا على رَبهِم) مشاهدَتهم له ((إنهم يشاهدُونَّه وهذا المعنى فاسد، لأن المشاهدة لا يجوز إلا على الأجسام أو ما هو حالّ في الأجسام، فلا يجوز أن يكون تعالى بصفة ما هو محدث. والمـراد وقوفهـم على عـذاب رَبهم وثوابـه))[30]. أي معتـرف لله سبحانه وتعالى معرفـة حسابـه وعقابه.

واستُعمل (الوقوف) بمعنى الحبس في حضرته تعالى ((أي هم موقوفون في حضرة رَبهم الذي كذبوه بلقائه، لا يبرحون الموقف وكأنما أخذ بأعناقهم حتى وقفوا في هذا المشهد الجليل الرهيب))[31].

وجيء بلفظ (على ربهم) للدلالة على أن ((الوقوف في ميدان الحساب والجزاء))[32].

إن الوقوف الوارد في الآيتين المباركتين وقوفا ماديا لأنه وقوف حقيقي لشخص الإنسان سواء كان واقفا في حضرة رَبه ليُحاسب أم انه واقف على أبواب ومشارف جهنم.

ووقوفه على النار وقوفا حقيقيا لمشاهدته لها ويقينه بوجودها والاطلاع على حقيقتها وعظم نارها وشدة عذابها.

والوقوف في قوله تعالى: (وقِفوا على رَبهِم) هو أيضا وقوفا حقيقيا يتمثل بحضور العبد ووقوفه بين يدي ربه لحساب والجزاء. ولكن الوقوف على النار فيه مشاهدة للنار أما الوقوف في الآية الثانية ((وقِفوا على رَبهِم)) فليس فيه مشاهدة حقيقية للذات الإلهية.

ومن النظائر أيضا قوله تعالى: ((بل بَدا لهُم ما كانوا يُخْفُون من قَبْلُ ولو رُدُّوا لعادوا لِما نُهُوا عَنْه وإنهُم لكاذِبون)) (الأنعام/28).

فالرد هنا يناظر العودة ولكن القرآن الكريم جعل للرد دِلالة مختلفة عن دلالة العودة وهذا يكمن في إعجاز القرآن وبلاغته.

والرد في اللغة ((ما كان عمادا للشيء بدفعَه ويَردَّه))[33]. و((الراء والدال أصل واحد مطرد منقاس، وهو رجع الشيء))[34]. والرد ((صرف الشيء بذاته أو بحال من أحواله. يُقال: ردَدْته فارتدَّ ومن الرد بالذات قوله: ((ولو رُدوا لعَادوا لِما نُهُوا عنه. وقال: في الطريق الذي جاء به))[35].

أما القرآن الكريم فقد استعمل (الرد) هنا للدلالة على بيان تمني الرجوع إلى الدنيا ((تمني الرجوع إلى الدنيا والإيمان فيها بآيات الله والدخول في جماعة المؤمنين إنما هو ظهور الحق المتروك بجميع ما يستتبعه من العذاب يوم القيامة، وهو من مقتضيات نشأة الآخرة المستلزمة لظهور الحقائق الغيبية ظهور عيّان))[36].

وقيل بأن ردهم دون مشاهدتهم للعذاب يدعوهم لمعاودة ارتكاب المعاصي ((ولو رُدُّوا ولم يعاينوا العذاب لعادوا كأنه ذهب إلى أنهم لم يشاهدوا ما يضطرهم إلى الارتداع. وقيل: بأن هذا الرأي ضعيف لان القول يكون منهم بعد أن يُبعَثوا ويعلموا أمر القيامة ويعاينوا النار))[37].

وقوله تعالى: ((ولو رُدُّ لعادوا لما نُهُوا عنه)).

العودة ((تثنية بعد بدء. بدأ ثم عاد. والعودة مرة واحدة))[38]. و((العود: في صفات الله تعالى: المبدئ المعيد. والعود ثاني البدء. قال الفراء: يجوز في العربية أن تقول: إن عاد لما فعل، تريد أن فعله مرة أخرى. ويجوز: أن عاد لِما فعل، إن نقض ما فعل))[39].

فالقرآن الكريم استعمل (العودة) للدلالة على معاودة الفعل وتكراره ((انه تعالى بيّن أنهم لو شاهدوا النار والعذاب ثم سألوا الرجعة ورُدُّوا إلى الدنيا لعادوا إلى الشرك، وذلك القضاء السابق فيهم، وإلا فالعاقل لا يرتاب فيما شاهد))[40].

وتمنيهم الرجوع إلى الدنيا كان بدافع الهول الذي أصابهم ولو عادوا لفعلوا مثلما كانوا يفعلون ((لو أُجيبت أمنيتهم ورُدُّوا إلى الدنيا لعادوا للأمر الذي كان النبي ينهاهم

عنه، وهو التكذيب وإنكار البعث، وذلك لان نفوسهم التي كذّبت فيما مضى تكذيب مكابرة بعد الإتيان للآيات البيّنات، هي النفوس التي أُرجعت إليهم يوم البعث))[41].

ومعاودة ارتكاب الذنوب متعلق بنفوسهم المريضة التي لا تتبدل لو رجعوا إلى الدنيا ((فتعود الحال ويرجع الكفر والشرك والعناد مع الحقّ والاستكبار عليه، فما دعاهم إلى الشرك والظلُّم والتكذيب يعود عليهم لاحقا، فقد وردت السنن التي وضعها الله تعالى في الحياتين وتعلق قضاؤه بذلك وتم الأمر))[42].

والرد في قوله تعالى: (ولو رُدُّوا) ردّا ماديا لأنه ردا حقيقيا يتمثل بتمني الكفار الرجوع من الآخرة إلى الحياة الدنيا مرة ثانية بعد مشاهدتهم العذاب للتوبة وعمل الخيرات وتمنيهم هذا تمنيا حقيقيا لما رأوا من الهول والعذاب.

أما (العودّة) في قوله تعالى (لعادوا) استعملها القرآن الكريم استعمالا حقيقيا للدلالة على العودة لما فعلوا في حياتهم الدنيا من الشرك والعناد والعودة هنا مادية.

قوله تعالى: ((وما الحياة الدنيـا إلا لَعِب ولَهو وللدّار الآخرة خيـر للذين يبقـون أفلا تعقلـون)) (الأنعام/32).

نجد هنا لفظ (اللّعب) يناظر لفظ (اللّهو) في كونهما شغل ووُصِفَت بهما الحياة الدنيا ولكن القرآن الكريم أضفى على الَّلعِب دلالة تختلف عن دلالة اللّهو وقد استعملها استعمالا حقيقيا.

((اللَّعب واللَّعْب: ضد الجدِّ، لَعِبَ يَلْعَبُ لَعِبا ولَعَّبَ وتَلاَعَبَ وتَلَعَّبَ مرة بعد أخرى))[43]. و((لَعِبَ فلان إذا كان فعله غير قاصدا به مقصدا صحيحا يَلْعَبُ لَعِبا))[44].

أما القرآن الكريم فاستعمل (اللّعب) للدلالة على كل عمل أو قول فيه خفّة وطيش وليست له غاية مفيدة ((عمل أو قول فيه خفة وسرعة وطيش ليس له غاية مفيدة بل غايته إراحة البال وتقصير الوقت واستجلاب العقول في حالة ضعفها كعقل الصغير وعقل المتعب وأكثره أعمال الصبيان))[45].

وقد وضعت أعمال الحياة الدنيا باللَّعِب لأنها ((تدور مدار سلسلة من العقائد الاعتبارية والمقاصد الوهمية كما يدور عليه اللَّعِب فهي لَعِب))[46].

أما اللَّهو في قوله تعالى: ((وما الحياة الدنيا إلا لَعِب ولَهو)).

فاللّهو: ((ما لَهوت به ولَعِبت به وشغلك عن هوى وطرب ونحوهما))[47]. واللّهو ((كل شيء شغلك عن شيء فقد ألهاك))[48]. واللّهو ((ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه))[49].

والقرآن الكريم استعمل (اللّهو) هنا للدلالة على كل ما يشغل الإنسان فيلهيه ((اللّهو ما يشغل به الإنسان عما ترتاح إليه نفسه ولا يتعب به عقله، فلا يطلق إلا على ما فيه استمتاع ولذّة وملائمة الشهوة))[50].

والدنيا بطبيعتها شاغلة للإنسان عن الالتفات إلى الحياة الأخرى إلا المتقين ((هي شاغلة للإنسان عما يهمه من الحياة الأخرى الحقيقية الدائمة فهي لَهو))[51].

ويشترك اللّعِب مع اللّهو في ((إنهما الاشتغال بما لا يعني العاقل ويهمه، وصرف الهم بما لا يصلح أن يصرف به))[52].

ولكن الفرق بين اللّعب واللّهو هو أن الأول: ((ما قُصِدَ به تعجيل المسرة والاسترواح به. والثاني: كل ما شغل عن هوى وطرب وإن لم يقصد به ذلك، وترجع حقيقة اللّعب إلى ما ينتفع به واللّهو إلى ما يلتهى به ولذلك اختصت بهما الحياة الدنيا))[53].

ويشترك اللّعب مع اللّهو في كونه ((من الممارسات الفارغة السطحية التي لا ترتبط بأصل الحياة الحقيقية، سواء فاز اللاعب أو خَسر، إذ كل شيء يعود إلى حالته الطبيعية بعد اللّعب))[54].

وقد وصفت الحياة الدنيا باللّعِب واللّهو لكونهما ((لا عاقبة لهما في المنفعة ويقتضي زوالهما عن أهلها في أدنى مدة وأسرع زمان، لأنه لا ثبات لهما ولا بقاء))[55].

القرآن الكريم في قوله تعالى: ((وما الحياة الدنيا إلا لَعِب ولَهو)) استعمل اللّعب استعمالا حقيقيا للدلالة على أن الحياة الدنيا ما هي إلا أعمال يقوم بها الإنسان الهدف من وراءها إراحة البال وتحقيق المتعّة وهو بدون غاية أو هدف مفيد.

أما اللّهو فهو ما يشغل صاحبه فيلهيه والقرآن الكريم استعمله هنا استعمالا ماديا حقيقيا يتمثل بانشغال الإنسان عن قصد أو بغير قصد وان اللّعب يقود إلى اللّهو.

قوله تعالى: ((وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ظلال مبين)) (الأنعام/74).

وقوله تعالى: ((وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين)) (الأنعام/75).

ونجد في هذه الآية المباركة أشباها وهي (أرى) في قوله تعالى: ((أراك وقومك)) و(نري) في قوله تعالى: ((نُري إبراهيم)) والقرآن الكريم أعطى لكل من هاتين الرؤيتين دلالة خاصة فالرؤية الأولى ((أراك وقومك)) مجازية كما سنتطرق إليها في المبحث الثاني إن شاء الله ونبيّن اختلاف المفسرين بشأنها.

أما الرواية في قوله تعالى: ((نُري إبراهيم)) فدلالة الرؤية هنا حقيقية تتمثل بما شاهده إبراهيم عليه السلام من الدلائل والبراهين.

فالرؤية في اللغة ((الرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين؛ يقال: رَأى زيدا عالما ورَأى رَأيا ورُؤية ورَاءه مثل راعه))[56]. ويقول ابن سِيده (ت 458هـ): ((الرُّؤية النظر بالعَين والقلب))[57]. و((الراء والهمزة والياء أصل يدل على نظر وأبصار بعين أو بصيرة))[58].

أما الرُّؤية عند النُحّاة فيقول شارح المُفصّل عن أرى ((إن أرى مما يتعدى إلى مفعولين وهو منقول عن رأيتُ وأرى إذا كان من رؤية القلب له معنيَّان احدهما العِلم والآخر الحسبان والظن))[59].

وقوله تعالى ((نُري إبراهيم)) استعمل القرآن الكريم (الرؤية) هنا للدلالة على رؤية مادية حقيقية ((مستعملة للانكشاف والمعرفة، فالإراءة بمعنى الكشف والتعريف، فتشمل المبصرات والمعقولات المستدل بجميعها على الحقِّ وهي إراءة إلهام وتوفيق))[60].

وقيل: بأن ((عطف قوله " وليكون من الموقنين " على قوله (وكذلك) أفاد كون المشبه به تعليما فائقا ففهم منه أن الشبه به علة لأمر مهم هو من جنس المشبه به. فالتقدير: وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض إراءة تبصير وفهم ليَعلم علما على وفق ذلك التفهيم، وهو العلم الكامل وليكون من الموقنين))[61].

إن إراءة إبراهيم عليه السلام ملكوت السماوات والأرض ثم محاججته لأبيه تؤكد على كون الرؤية الواردة هنا رؤية حقيقية ((إنا أرينا إبراهيم ملكوت السموات والأرض فبعثه ذلك إن حاج أباه وقومه في أمر الأصنام وكشف لهم ضلالهم وكنا نمده بهذه العناية والموهبة وهي إراءة الملكوت وكان على هذه الحال حتى جُنّ عليه الليل ورأى كوكبا))[62].

الرؤية الواردة هنا رؤية حقيقية فيها اطلاع لإبراهيم عليه السلام على أسرار الكون والوجود وكانت هذه الرؤية حلقة الوصل بين إحساسه بوجود خالق عظيم لهذا الكون وبيّن يقينه بذلك ((نُري إبراهيم حقيقة هذا الكون، ونكشف عنه عن الآيات المبثوثة في صحائف الوجود، ونصل بين قلبه وفطرته وموحيات الإيمان ودلائل الهدى في هذا الكون العجيب. لينتقل من درجة الإنكار على عبادة الآلهة الزائفة إلى درجة اليقين الواعي بالإله الحقّ))[63].

ويقترن بهذه الرؤية الإبصار والتعريف بالله سبحانه وتعالى ((نُعرف إبراهيم ونُبصره ملكوت السماوات والأرض يعني الربوبية والإلوهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرّحنا صدره وسدّدنا نظره وهدّيناه لطريق الاستدلال))[64].

ويذهب احد العلماء إلى أن الرؤية هنا رؤية حقيقية قائمة على الكشف والتقرير ((إن نور الله لائح غير منقطع ولا زائل البتة، والأرواح البشرية لا تصير محرومة عن تلك الأنوار إلا لأجل حجاب، وذلك الحجاب ليس إلا الاشتغال بغير الله سبحانه وتعالى، فإذا كان الأمر كذلك فبقدر ما يزول ذلك الحجاب يحصل هذا التجلي فقـول إبراهيم عليه السـلام ((أتتخذ أصناما آلهـة)) إشارة إلى تقبيـح الاشتغال بعبادة غيـر الله تعالى، لأن كــل ما ســوى الله فهــو حجاب عن الله تعالى، فلما زال ذلك الحجاب لا جرم تجلى له ملـكوت السماوات بالتمام))[65].

إذن فالرؤية الواردة هنا رؤية حقيقية قائمة على مشاهدة مادية إذ شاهد إبراهيم عليه السلام دلائل وبراهين تثبت وجود خالق مبدع لهذا الكون العظيم وهذه الرؤية قائمة على وضوح كل معالم اليقين بإراءة ملكوت السماوات والأرض التي تقطع وتجزم بالوحدانية لله عزّ وجّل.

فإحساس إبراهيم عليه السلام بخالقه وخالق هذا الكون البديع ثم مشاهدة الدلائل والبراهين على وحدانية الله أزالت كل حجب الغموض عن قلبه مما دفعه للمحاججة واليقين.

وقوله تعالى: ((وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)) (الأنعام/99).

ومن الأشباه أيضا لفظ ((مشبها وغير متشابه)) ولكن القرآن الكريم جعل لكل من اللفظين دلالة معينة واستعملهما هنا استعمالا ماديا.

((الشبَّه والشبْه والشّبيه: المثل، والجمع أشباه))[66]. و((أشْبَه الشيءُ الشيءَ ماثله))[67]. و((الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفا))[68]. و((الشِّبه والشَّبه والشّبيه حقيقتها في المماثلة من جهة الكيفية. كاللون والطعم وكالعدالة والظلم، والشّبه هو أن لا يتميز احد الشيئين من الأخر لِما بينهما من التشابه عينا كان أو معنى. قُرِئ قوله: (مشتبها وغير متشابه). وقُرئ (متشابها) جميعا ومعنياهما متقاربان))[69].

استعمل القرآن الكريم لفظ (الشَّبه) في قوله تعالى: (مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ) للدلالة على التماثل بين هذه الأشجار ((التماثل في حالة مع الاختلاف في غيرها من

الأحوال، أي بعض شجره يشبه بعضا وبعضه لا يشبه بعضا، أو بعض ثمره يشبه بعضا وبعضه لا يشبه بعضا. وقيل التشابه مما يطلبه الناس من أحواله على اختلاف أميالهم وعدم التشابه ما اختلف بعضه عن البعض الآخر فيما يتطلبه الناس من الصفات على اختلاف شهواتهم))[70].

وجاء المتشابه وغير المتشابه هنا أيضا للدلالة على أن هذا النبات الأخضر منه ((المشاكل وغير المشاكل في النوع والشكل وغيرهما))[71].

ويحتمل أن يكون المراد بالمتشابه وغير المتشابه ((مشتبها في الخلق مختلفا في الطعم))[72].

وقيل ((مشتبها وغير متشابه، حال من الرمان، أو من الجميع أي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر واللون والطعم))[73].

وقيل إن المتشابه وغير المتشابه قد يكون لأشجار الرمان والزيتون الوارد ذكرها في قوله تعالى: (وجنات من أعناب والزيتون والرمان) أي ((إن شجرتي الرمان والزيتون متشابهتان من حيث الشكل الخارجي وتكوين الأغصان وهيئة الأوراق تشابها كبيرا، مع أنهما من حيث الثمر وطعمه وفوائده مختلفان ففي الزيتون مادة زيتية قوية الأثر، وفي الرمان مادة حامضية أو سكرية، فهما متباينان تماما. ومع ذلك فقد تزرع الشجرتان في ارض واحدة وتشربان من ماء واحد، فهما من المتشابهين وغير المتشابهين، ومن المحتمل أن تكون الإشارة إلى أنواع مختلفة من الأشجار التي تشبه بعضها في الشجر والثمر، ويختلف بعضها عن الآخر في ذلك قيل: أي أن كل واحدة من هاتين الصفتين تكون لمجموعة من الأشجار والأثمار. أما حسب التفسير الأول، فان الصفيين لشيء واحد))[74].

وان التشابه والاشتباه ((مترادفان كالتساوي والاستواء، وهما مشتقان من الشبه والجمع بينهما في الآية للتفنن و كراهية إعادة اللفظ. ولأن اسم الفاعل من التشابه اسعد بالوقف لما فيه من مدّ الصوت بخلاف (مشتبه) وهذا من بديع الفصاحة))[75].

كما يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا و((قُرِئ " متشابه وغير متشابه " وتقديره: الزيتون متشابه وغير متشابه، والرمان كذلك. ومعنى متشابه وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم. وكذلك دليل على التعمد دون الإهمال))[76].

ويذكر الزمخشري (ت 538هـ) بأن لتفسير (مشتبها) وجوه: الأول: إن هذه الفواكه قد تكون متشابهة في اللون والشكل، مع إنها تكون مختلفة في الطعم

واللذة، وقد تكون مختلفة في اللون والشكل مع إنها تكون متشابهة في الطعم واللذة. فإن الأعناب والرمان قد تكون متشابهة في الصورة واللون والشكل. ثم إنها تكون مختلفة في الحلاوة والحموضة وبالعكس.

الثاني: إن أكثر الفواكه يكون ما فيها من القشر والعجم متشابها في الطعم والخاصية. وأما ما فيها من اللحم والرطوبة فانه يكون مختلفا في الطعم(77).

كما يمكن أن يكون ((التشابه في الأوراق، أي ورق الزيتون يشبه ورق الرمان في اشتماله على جميع الغصن وفي حجم الورق وغير متشابه في الذواق))(78).

استعمل القرآن الكريم لفظ (متشابه) ولفظ (غير متشابه) للدلالة على معنى حقيقي وهو تشابه هذه الأشجار في أحوال وصفات معينة والاختلاف في أحوال أخرى كالتشابه بالأوراق مثلا أو اللون أو الشكل مع الاختلاف في الطعم والثمر وربما يكون المقصود هنا جميع أشجار الفاكهة تكون متشابهة في صفات وغير متشابهة في أخرى أو المقصود هنا شجر الرمان والزيتون للزراعة في ارض واحدة والشرب من ماء واحد مع الاختلاف في ثمرها. والله اعلم .

وقد عبر القرآن الكريم عن شيء مادي ملموس وهو (النبات الأخضر) تعبيرا ماديا حقيقيا بإيراد (المتشابه وغير المتشابه) للدلالة على المعنى.

وقوله تعالى: ((إن الذين فَرَّقُوا دينهم وكانوا شِيَعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون)) (الأنعام/159).

إذا تأملنا لفظ (فرّقوا) في قوله تعالى: ((فرّقوا دينهم)) ولفظ (شِيعَا) في قوله تعالى: ((وكانوا شِيعَا)) لوجدنا لفظ (فرّقوا) يناظر لفظ (شِيعَا) أما من حيث الدلالة فالقرآن جعل للتفريق دلالة تختلف عن دلالة (شيع) واستعمل لفظ (فرّقوا) استعمالا مجازيا سنتطرق إليه في المبحث الثاني.

أما (شيع) فالقرآن الكريم استعملها هنا استعمالا ماديا حقيقيا.

((الشين والياء والعين أصلان، يدل احدهما على معاضدة ومساعفة والآخر على بث وإشادة. والشيعة: الأعوان والأنصار))(79). و((أشياع وشيع كعنب. قيل المراد بالأشياع أمثالهم من الأمم الماضية ومن كان مذهبه مذهبهم. وقوله تعالى: (فرّقوا دينهم وكانوا شيعا) أي فرقا مختلفين، كل فرقة تكفر الفرقة المخالفة لها يعني به اليهود والنصارى))(80). و((الشيعة أنصار الرجل وأتباعه، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة والجماعة شيع وأشياع))(81).

واستعمل القرآن الكريم لفظ (شيع) استعمالا حقيقيا للدلالة الأحزاب المتفرقين ((شيعة كل شيعة تتبع إماما يقودهم ليس إلا))(82).

وقيل: بأنهم أحزابا وقبائل ((كل قبيلة كانت تنتصر لصنمها وتزعم انه ينصرهم على عُبّاد غيره))[83].

وقال: أحد العلماء بأنهم انقسموا إلى فرق وطوائف وان الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بريء منهم ولا يرتبطون بدينه وهو دين التوحيد والصراط المستقيم[84].

وقيل: بأن الشيع ((فرقا كل فرقة تشيع إماما لها))[85].

كما قيل: بأنهم متآزرون ومتبعون بعضهم بعضا ((فرقا وأحزابا في الضلالة))[86].

وقيل: بأنهم انقسموا إلى طائفة أمرها واحد ((فرقا وأحزابا. وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع))[87].

كما أن الشيع ((الفرق التي يمالئ بعضهم بعضا على أمر واحد مع اختلافهم في غيره، وقيل: أصله الظهور من قولهم شاع الخبر إذا ظهر))[88].

استعمل القرآن الكريم لفظ (شيع) استعمالا حقيقيا للدلالة على الفرقة والجماعة والطائفة فهؤلاء المشار إليهم هنا جماعة أي شيع وفرق كل فرقة تؤيد وتنتصر لبعضها البعض وتؤمن برأيها وتخالف رأي الطائفة أو الفرقة الأخرى ولم يخرج اللفظ هنا عن دلالته المادية عكس لفظ (فرّقوا) كما سنرى.

المبحث الثاني

ألفاظ الأشباه والنظائر التي استعمِلت استعمالا مجازياً

نزل القرآن الكريم بلغة العرب وهم أصحاب الفصاحة والبلاغة متحديا إياهم ببلاغته, ومن بلاغة القرآن الكريم انه يستعمل أسلوب المجاز لتقريب المعنى إلى الأذهان وبأسلوب يُبهر المتأمل له.

وسنتطرق في هذا المبحث إلى ألفاظ متشابهة ومتناظرة استعملها القرآن الكريم استعمالا معنويا مجازيا.

قوله تعالى: ((فقد كذّبوا بالحقّ لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون)) (الأنعام/5).

فالمجيء في قوله تعالى (لما جاءهم) يناظر (الإتيان) كما ذكرّنا وقد بيّنا أن القرآن الكريم قد استعمل (الإتيان) استعمالا حقيقيا. أما المجيء فقد استعمله القرآن الكريم استعمالا معنويا.

((المجيء: الإتيان. جاء جيئا ومجيئا))[89]. و((الجيم والياء والهمزة حروف من غير قياس بيّنها. يقال: جاء يجيء مجيئا))[90]. و((جاء الرجل يجيء جيئا وجيئة بالفتح فيهما، والأخير من بنّاء المرة وضع موضع أصل المصدر للدلالة على مطلق الحدث))[91].

أما القرآن الكريم فلم يستعمل المجيء هنا بمعنى الإتيان بل استعمله للدلالة على مجيء الحق ((الفاء فصيحة على الأظهر أفصحت عن كلام مقدر نشأ عن قوله (إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) أي إذا تقرر هذا الإعراض ثبت أنهم كذبوا بالحق لما جاءهم من عند الله))[92].

وقيل بأن مجيء الحق هنا هو مجيء الرسول محمد صلى الله وسلم[93].

واستعمل المجيء في قوله ((فقد كذّبوا بالحق لما جاءهم)) للدلالة على مجيء القرآن ((لما جاءهم: يعني الحق الذي تحدوا به على مبالغتهم في الفصاحة فعجزوا عنه))[94].

واستعمل المجيء للدلالة على الظهور ((فالحق يأبى إلا أن يظهر يوما ويخرج من حد النبأ إلى حد العيان))[95].

واستعمل المجيء أيضا للدلالة على الحقيقة التي شاهدوها ((إنهم عندما رأوا الحقيقة كذبوها، ولو أنهم دققوا في آيات الله جيدا لرأوا الحقيقة وأدركوها وامنوا بها))[96].

وقيل: بأن الحق الذي جاءهم هو القرآن وسائر أمور الدين[97].

استعمل القرآن الكريم لفظ (المجيء) هنا استعمالا معنويا فالمجيء يكون لشيء مادي كمجيء الشخص مثلا والقرآن الكريم استعمله لأشياء معنوية فقد استعمل للدلالة على مجيء القرآن أو مجيء الحق الذي كذبوا به أو مجيء الحقيقة التي أنكروها وأظهرها الله وجاءتهم فلم يستطيعوا الإنكار.

قوله تعالى: ((قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ)) (الأنعام/31).

وقوله تعالى: ((وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)) (الأنعام/38).

ومن الأشباه لفظ (التفريط) في قوله تعالى: ((مَا فَرَّطْنَا فِيهَا)) و(التفريط) في قوله تعالى: ((مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ)) ولكن دلالة التفريط في قوله تعالى: ((مَا فَرَّطْنَا فِيهَا)) غير دلالة التفريط في قوله تعالى: ((مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ)) وقد استعملهما القرآن هنا استعمالا معنويا مجازيا.

((فرط في الأمر يفرط فرطا أي قصر فيه وضيعه حتى فات، وكذلك التفريط))[98]. و((فرط في الأمر يفرط فرطا بالفتح قصر به))[99]. و((التفريط أن يقصر في الفرط))[100].

وإذا كان التفريط بمعنى التقصير والتضييع فان القرآن الكريم ضاف إلى التفريط معنى جديدا يتمثل بالتأخير أي أن الإنسان يفوّت على نفسه الفرصة ويجعل غيره السابق إلى الطاعة ((جعلنا غيرنا السابق إلى الطاعة، وهذا يستلزم التقصير والتضييع فيكون التفريط هو التقصير في ما قدر على فعله، والتضعيف (فرّط) للسلب والإزالة))[101].

ويأتي التفريط بمعنى التقصير في الحياة الدنيا ((الضمير للحياة الدنيا، جيء بضميرها وإن لم يجد لها ذكر لكونها معلومة، أو الساعة على معنى قصّرنا في شأنها وفي الإيمان بها))[102].

كما يأتي التفريط أيضا للدلالة على تضييع الأمور النافعة ((فرّطنا، أضعنا. و(ما) موصولة ومفعول (فرّطنا) محذوف يعود إلى (ما) تقديره: ما فرطناه أي ما ندمّنا على إضاعة كل ما من شانه أن ينفعنا ففرّطناه))[103].

ويقترن هذا التضييع بالندم على النفس عند مشاهدة أهوال القيامة وتحسر الإنسان على ما ضيّعه في حياته الدنيا ((حين يرون أنفسهم أمام مشاهده الرهيبة،

ويشهدون بأعينهم نتائج أعمالهم، عندئذ ترتفع أصواتهم بالندم على ما قصّروا في حق هذا اليوم))[104].

كما يكون (التفريط) مجازا عن التقصير في الشيء إلى حد إهماله وضياعه ((ما فرّطناه مجازه: ما ضيعناه))[105].

أما (التفريط) في قوله تعالى: (ما فرّطنا في الكتاب) فيستدعي وقفة تأمل لأنه فعل يستلزم التقصير والتضييع وهو فعل مقرون بأفعال العباد, ونسبته للذات الإلهية

---

(1) لسان العرب، (حقّ): 3/255.
(2) م ن.
(3) مقاييس اللغة، (حقّ): 2/15.
(4) لسان العرب، (جَوَز): 2/416.
(5) مقاييس اللغة، (جَوَز): 1/494.
(6) ينظر: الخصائص: 2/208، المثل السائر: 1/69.
(7) الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: 321.
(8) الصاحبي في فقه اللغة وسسن العرب في كلامها: 322.
(9) ينظر: أسرار البلاغة: 280.
(10) م ن: 281.
(11) دلائل الإعجاز: 238.
(12) ينظر: الحيوان: 35-37.
(13) ينظر: تأويل مشكل القرآن: 20.
(14) رسالة الأشباه والنظائر في القرآن الكريم: 128.
(15) لسان العرب، أتي: 1/64.
(16) مقاييس اللغة، أتي: 1/50.
(17) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: 153.
(18) الإتقان، السيوطي: 1/570.
(19) التبيان في تفسير القرآن: 4/80.
(20) التحرير والتنوير: 7/136.
(21) ينظر: في ظلال القرآن: 2/1037.
(22) لسان العرب، وَقفَ: 15/373.
(23) القاموس المحيط، وَقفَ: 811.
(24) تاج العروس، وَقفَ: 12/527.
(25) التحرير والتنوير: 7/184.
(26) البيضاوي 2: 143، النفي: 1/323.
(27) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: 13/178-179.
(28) الكشاف: 2/16.
(29) م ن: 2/17.
(30) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: 4/113.
(31) في ظلال القرآن: 2/1071.
(32) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: 4/241.
(33) لسان العرب، ردَّ: 5/185.
(34) مقاييس اللغة، ردَّ: 2/386.
(35) المفردات في غريب القرآن: 192-193.
(36) الميزان في تفسير القرآن: 7/53.
(37) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: 4/111.
(38) معجم العين: 591، مقاييس اللغة، عود: 4/181.
(39) لسان العرب، عود: 2/315-316.
(40) التفسير الكبير: 12/194.

أمر مستحيل , تعالى ربنا عن كل تقصير وتضييع والفعل هنا مسبوق بـ (ما) النافية التي تنفي فعل التقصير والتضييع عن ذات الله عز وجل وهو مختلف عن (التفريط) في قوله تعالى: (ما فرّطنا فيها) لأن (ما) هنا موصولة بمعنى (الذي) أي الذي ضيعنّاه.

فالتفريط هنا جاء بمعنى لا تقصير ولا إهمال من جانب الله سبحانه وتعالى , ونفي التقصير عن ذات الله سبحانه ((ما فرّطنا: ما تركنا. وقيل: ما قصّرنا))[106].

وأما الكتاب في الآية المباركة ففيه قولان:

---

(41) التحرير والتنوير: 7/186.
(42) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: 13/183.
(43) لسان العرب، لعبَ: 12/287.
(44) المفردات في غريب القرآن: 450.
(45) التحرير والتنوير: 7/139.
(46) الميزان في تفسير القرآن: 7/56.
(47) لسان العرب، لَها: 12/347.
(48) مقاييس اللغة، لَهو: 5/213.
(49) المفردات في غريب القرآن: 455.
(50) التحرير والتنوير: 7/193.
(51) الميزان في تفسير القرآن: 7/56.
(52) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: 13/195.
(53) ينظر: م ن.
(54) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: 4/242.
(55) التبيان في تفسير القرآن: 4/217.
(56) لسان العرب، رأي: 5/84.
(57) م ن.
(58) مقاييس اللغة، رأي: 2/472.
(59) شرح المفصل: 7/79.
(60) التحرير والتنوير: 11/315.
(61) م ن: 7/316.
(62) الميزان في تفسير القرآن: 7/176.
(63) في ظلال القرآن: 2/1139.
(64) الكشّاف: 2/38.
(65) التفسير الكبير: 13/41.
(66) لسان العرب، شبه: 7/23.
(67) م ن.
(68) مقاييس اللغة، شبه: 3/243.
(69) ينظر: المفردات في تفسير القرآن: 254.
(70) ينظر: التحرير والتنوير: 7/402.
(71) الميزان في تفسير القرآن: 7/306.
(72) التبيان في تفسير القرآن: 4/267.
(73) البيضاوي: 2/198.
(74) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: 4/374.
(75) التحرير والتنوير: 7/402.
(76) ينظر: الكشّاف: 2/49-50.
(77) ينظر التفسير الكبير: 13/110.
(78) الجامع لأحكام القرآن: 7/49.
(79) ينظر: مقاييس اللغة، شبع: 3/235.
(80) ينظر: تاج العروس، شبع: 11/257.

احدهما: الكتاب المحفوظ عنده من آجال الحيوان وأرزاقه.

الثاني: المقصود به القرآن المتضمن أمور الدين والدنيا[107].

ولسعّة علم الله وقدرّته ؛ ففعل التقصير المتمثل بالترك والإهمال منفي عنه تمام النفي ((ما فرّطنا في الكتاب من شيء، معترضة لبيان سعة علم الله تعالى وعظيم قدرته. فالكتاب هنا بمعنى المكتوب وهو المكنّى عنه بالقلم المراد به ما سبق في علم الله وإرادته الجارية على وفقه))[108].

وان نسبة هذا الفعل الذي يحمل معنى التقصير كان من باب المجاز لبيان عظم التضييع والترك ولكنه هنا (("ما فرّطنا في الكتاب" نُفي عن الله سبحانه وتعالى " ما فرّطنا في الكتاب" مجازه: ما تركنا ولا ضيعنا ولا خلقنا))[109].

أي أن معنى ما فرّطنا في الكتاب من شيء : إن علم الله محيط بجميع الأكوان ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض فيكون النفي هنا يفيد إثبات العلم والقدرة والإحاطة للذات الإلهية وبالتالي فيكون معنى ما فرّطنا، إننا عالمين بكل شيء على وجه الإحاطة والسيطرة.

---

[81] تهذيب اللغة، شيع: 3/4.
[82] الميزان في تفسير القرآن: 7/413.
[83] التحرير والتنوير: 7/192.
[84] ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: 4/486.
[85] الكشّاف: 2/79.
[86] التفسير الكبير: 14/7.
[87] الجامع لأحكام القرآن: 7/149.
[88] التبيان في تفسير القرآن: 4/329.
[89] لسان العرب، جَيأ: 2/431.
[90] مقاييس اللغة، جَيأ: 1/497.
[91] تاج العروس، جيأ: 1/130.
[92] التحرير والتنوير: 7/135.
[93] ينظر الجامع لإحكام القرآن: 6/391.
[94] الكشّاف: 2/7-8.
[95] الميزان في تفسير القرآن: 7/15.
[96] الأمثل في كتاب الله المنزل: 4/201-202.
[97] ينظر التبيان في تفسير القرآن: 4/80.
[98] لسان العرب، فرط، 10/235.
[99] تاج العروس، فرط، 10/309.
[100] المفردات في غريب القرآن: 376.
[101] مواهب الرحمن في تفسير القرآن: 13/190.
[102] الكشّاف: 2/18.
[103] ينظر: التحرير والتنوير: 7/191.
[104] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: 4/241.
[105] مجاز القرآن: 1/191.
[106] التبيان في تفسير القرآن: 4/128.
[107] ينظر: م ن.
[108] التحرير والتنوير: 7/217.
[109] مجاز القرآن: 3/191.

والتفريط يكون لشيء مادي ملموس ولكن القرآن الكريم في قوله تعالى: (ما فرّطنا فيها) استعمله استعمالا مجازيا، والمعنى هو تضييع هذه الدنيا والتفريط فيها بتفويت الأمور النافعة التي من شأنها جعل الإنسان صالحا في هذه الحياة. أي أن الإنسان عندما يترك واجباته فانه يخسر آخرته بترك ما أمر الله به أن يُعمل.

أما لفظ (التفريط) في قوله تعالى: ((ما فرّطنا في الكتاب)) فهو لفظ موضوع لدلالة مجازية تتمثل بإهمال وتقصير وتضييع للكتاب ولكن هذا اللفظ جاء مسبوقا بـ (ما) النافية ومقروناً بالذات الإلهية، وتعالى الله عن الإهمال والتقصير ف (ما)هنا تنفي التقصير والإهمال عنه سبحانه وتعالى فهو المتصف بالكمال.

قوله تعالى: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ منْ قَبْلِكَ فَأخذنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ))(الأنعام/42).

وقوله تعالى: ((فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أخذنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ)) (الأنعام/44).

وقوله تعالى: ((قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أخذ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ)) الأنعام/46.

ومن الأشباه لفظ (الأخذ) وقد استعمله القرآن الكريم بدلّالات مختلفة فدلالة الأخذ في قوله تعالى: ((أخذتهم بالبأساء والضراء)) تتمثل في العقوبة التي أحلها الله بهم أي عاقبناهم, والأخذ في قوله تعالى: ((أخذتهم بغتة)) للدلالة على الهلاك أي أهلكناهم أما دلالة الأخذ في قوله تعالى: ((أخذ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ)) فتتمثل بسلب نعمة السمع والبصر وجعلنا فاقدي السمع والبصر((الأخذ: خلاف العطاء, وهو أيضا التناول))[110]. والأخذ ((حوز الشيء وجبيه))[111]. وهو في الأصل ((القهر والغلبة واشتهر في الإهلال والاستئصال))[112].

استعار القرآن الكريم لفظ (الأخذ) للدلالة على العقوبة ومعنى ((أخـذتهم البأسـاء والضراء)) ((أصبناهم إصابة تمكن. وقيل: بأن متعلق الأخذ قد ذكر هنا لأنه أخذ بشـيء خاص[113].

وأخذ الأمم بالعقاب له حكمتان: ((أحدهما : زجرهم عن التكـذيب. والثانيـة: إكـرام الرسل بالتأييد بمرأى من المكذبين))[114].

---

[110] لسان العرب, أخذ,1/84.
[111] مقاييس اللغة, أخذ 1/68.
[112] تاج العروس, أخذ,5/345.
[113] ينظر: التحرير والتنوير: 7/227.
[114] م ن.

ويتبين بأن إصابة الله سبحانه وتعالى لهم تمثلت بأن ابتلاهم ((بالشدة في أنفسهم وأموالهم ليخضعوا ويذلوا لأمر الله لأن القلوب تخشع والنفوس تضرع عندما يكون من أمر الله البأساء والضراء))[115].

وتمثلت إجابته سبحانه وتعالى لهم بمكاره خارجية وداخلية فالبأساء ((تشير إلى المكروه الخارجي و(الضراء) تشير إلى المكروه الداخلي, النفسي أو الروحي, وعلى هذا تكون البأساء من عوامل إيجاد الضراء))[116] .

ولم يكن الابتلاء هنا بدافع الإهلاك بل بدافع التضرع والإنابة له سبحانه ((أخذهم بالبأساء والضراء ليرجعوا إلى أنفسهم وينقبوا في ضمائرهم وفي واقعهم, لعلهم تحت وطأة الشدة يتضرعون إلى الله, ويتذللون له وينزلون عن عنادهم واستكبارهم, ويدعون له أن يرفع عنهم البلاء بقلوب مخلصة, فيرفع الله عنهم البلاء, ويفتح لهم أبواب الرحمة... ولكنهم لم يفعلوا ما كان حرياً أن يفعلوا))[117].

أما قوله تعالى: ((أخذتهم بغتة)) فالأخذ هنا مختلف عن الأخذ في قوله تعالى: ((أخذتهم بالبأساء والضراء)) فالأخذ السابق دلالة على العقوبة مع مجال التضرع أما الأخذ هنا ((أخذتهم بغتة)) استعاره القرآن الكريم للدلالة على ((الإهلاك السريع المفاجئ ,وقيل بأن متعلق الأخذ لم يذكر هنا كما ذكر في قوله تعالى: (أخذتهم بالبأساء والضراء) للدلالة على انه أخذ لا هوادة فيه))[118]، بعد عقاب الله سبحانه وتعالى لهم, فتح عليهم أبواب النعمة استدراجاً حتى تمت لهم النعمة وفرحوا بها عندها أهلكهم الله سبحانه وتعالى ((أخذناهم فجأة فانغمرت أنفاسهم ولا حجة لهم لاستحقاهم ذلك))[119].

وكان أخذ الله سبحانه وتعالى لهم بالهلاك على حين غرة ((وهم في سهوة وسكرة فإذا هم حائرون منقطعوا الرجاء في النجاة عاجزون عن التفكير في أي اتجاه وإذا هم مهلكون بجملتهم حتى آخر واحد منهم))[120].

وهنا جاء الحق حيث كانت عقوبة الله لهم شديدة لا هوادة فيها ((أرسلنا العقوبة بغتة أي مفاجأة من حيث لا يشعرون))[121].

---

115 التبيان في تفسير القرآن:4/136.
116 الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:4/266-267.
117 في ظلال القرآن: 2/1089.
118 التحرير والتفسير: 7/231.
119 الميزان في تفسير القرآن : 7/92.
120 في ظلال القرآن: 4/137.
121 التبيان في تفسير القرآن: 4/137.

واقترن إتمام النعمة عليهم بازدياد قسوة قلوبهم إلى حدّ موت هذه القلوب حينها استحقوا بأن ((فاجأهم الله بالعذاب من حيث لا يشعرون))[122] .

أما قوله تعالى: ((أخذ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ)).

استعار القرآن الكريم لفظ (الأخذ) للدلالة على السلب والانتزاع وقيل: بأن الأخذ هنا مجاز في السـلب والإعـدام, لأن السـلب من لـوازم الأخذ بالنسـبة إلى المأخذ منه فهو مجاز مرسل. كما قيل بأنـه يجوز جعلـه تمـثيلاً لأن الله هو معطي السـمع والبصر فإذا أزالها كانت تلك الإزالة كحالة أخذ ما كان أعطاه, فشبهت هيئة

إعدام الخالق بعض مواهب مخلوقه بهيئة انتزاع شـيئاً من مقـرّه. كما يقـول أيضا بـأن الهيئة المشبهة هنا عقلية غير محسوسة والهيئة المشبهة بها محسوسة[123].

كما جاء (الأخذ) ليحمل معـنى السـلب أيضا ((سـلب نعمـتي السـمع والأبصـار هو الإصمام والإعماء))[124].

يعد السـمع والبصر والقلب من أشـرف أعضـاء الإنسـان ((فـالأذن محل القـوة السـمعية والعين محل القـوة الباصـرة, والقلب محل الحيـاة والعقل والعلم فلو زالت هـذه الصـفات من هـذه الأعضـاء اختل أمر الإنسـان وبطلت مصـالحه في الـدنيا وفي الدين))[125].

وقد سبق (الأخذ) بصـيغة اسـتفهام إنكـاري ((قل أرأيتم)) فالله سـبحانه وتعـالى منحكم تلك النعم العظيمة ولما لم تقـدروها سـلبها منكم والله يريد منكم جوابـاً فهو قادر على انتزاعها وقت شاء ولم يكن لكم أمام حكمة العـدل من جـواب وكـان أخـذه لكم بأن ((يصـمكم ويعميكم و" يختم على قلـوبكم" بـأن يغطي عليها ما يـذهب عنـده فهمكم وعقلكم))[126].

وكان الأخذ هنا مجازاً عن أن الله ((أصم أسماعكم أعمى أبصاركم))[127].

وقيل: بأنه استعارة فالمراد به ((إبطال حواسـهم وإذا بطلت عنهم فكأنها أخـذت منهم وغيبت عنهم))[128].

---

[122] التفسير الكبير: 12/226.
[123] ينظر: التحرير والتنوير: 7/234.
[124] الميزان في تفسير القرآن: 7/93.
[125] التفسير الكبير: 12/227.
[126] الكشاف: 2/24.
[127] مجاز القرآن: 1/192
[128] تلخيص البيان مجازات القرآن: 127.

وقد ظنّ هــؤلاء بــأن ما أنعم الله به عليهم لا يبيد وأن الله عز وجل راض عنهم فجاءهم الأخذ ((استأصلناهم وسطونا بهم))[129].

ومن هنا يتضح بأن (الأخذ) في قوله تعالى : ((أخـذنَاهُمْ بِالْبَأْسَـاءِ وَالضَّـرَّاءِ)) خـرج عن معناه الحقيقي وهو التأول إلى معنى مجازيا يتمثل بالإصابة والابتلاء, فالأخذ يكـون لشيء ملموس ولكنه سبحانه وتعالى استعمله اسـتعمالاً مجازيـاً للدلالة على الإصـابة بالمكاره الداخلية والخارجيـة ونلتمـس فيـه معنى القهـر والغلبـة لله سبحانه وتعالى.

أما (الأخذ) في قوله تعـالى ((أخـذتهم بغتـة)) فهو أخذ مجـازي للدلالة على إنـزال العذاب وإحلاله لهم بعد إتمام النعمة عليهم وجحدهم لها وعصيانهم لله عـزّ وجل فالله يمهل العبد ولا يهمله.

ويتضح أنه أخذ معنويـــاً محسوســـاً يفصح عن انه عـــاقبهم عقوبة لا مجـــال معها للتضـــرع وفيه معـــنى الاستئصـــال بدلالة قوله تعـــالى: ((فَقُطِــعَ دَابِــرُ الْقَــوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا...)).

والأخذ في قوله تعـــالى: ((أخذ اللَّهُ سَـــمْعَكُمْ وَأَبْصَـــارَكُمْ)) هو أيضا أخذ مجـــازي للدلالة على سلب نعمة السماع والبصر والقلب وإذ سلب الإنسان هذه النعم فما يبقى له؟! إلا إنه زوالٌ بما يكون عليه معنى الزوال وهل هناك عقاب اشد من هـذا العقـاب! والأخذ معنـوي ليس المقصـود به تنـاول هـذه الحـواس إنما المقصـود بالأخذ الإعمـاء والإصمام والتغطية على القلب بما يذهب معه العقل والفهم.

قوله تعالى: ((كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ)) (الأنعام/55).

وقوله تعالى: ((انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ)) (الأنعام/65).

ومن الألفـاظ الـتي اسـتعملها القـرآن الكـريم اسـتعمالا مجازيـاً لفظ (التفصـيل) و(التصـريف) فلفظ (التفصـيل) ينـاظر لفظ (التصـريف) ولكن القـرآن الكـريم جعل للتصريف دلالة مختلفة عن دلالة التفصيل.

((الفصل بون ما بين الشيئين))[130]. و((الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تــدل على تميز الشيء من الشيء وإبانته عنـه))[131]. والتفصـيل ((التبـيين. والفصـل: القضـاء بين الحق والباطل))[132].

---

[129] الجامع لإحكام القرآن: 6/426.
[130] لسان العرب, فصل:10/473.
[131] مقاييس اللغة, فصل: 4/505.
[132] تاج العروس: 15/573.

أما القرآن الكـريم فقد اسـتعار لفظ (التفصـيل) للآيـات للدلالة على تبـيين الآيـات وتوضيحها ((نفصل الآيات ونبينها تفصيلاً مثل هذا التفصيل الـذي لا فوقه تفصـيل, وهو تفصيل يحصل به علم المراد فيها بيّناً))[133].

قيل: ((أطلق التفصيل على التبيين بعلاقة اللـزوم, وشـاع ذلك حـتى صـار حقيقـة, ومن هذا القبيل أيضا تسـمية الإيضـاح تبييناً وإبانـة, فـإن أصل الإبانة القطـع. والمـراد بالتفصيل الإيضاح, أي الإتيان بالآيات الواضحة الدلالة على المقصود منها))[134].

ويـأتي التفصـيل بمعـنى ((شـرح المعـارف الإلهية وتخليصـها من الإبهـام والاندماج))[135].

وجاء التفصيل بمعنى الشرح أيضا ((نميزها ونبينها ونشرحها لتلزمهم الحجة))[136].

وجـاء التفصـيل بمعـنى بيـان الحجج من الله جل وعلا ((نمـيز ونفصل لك دلائلنا وحججنا في تقرير كل حق ينكره أهل الباطل))[137].

ويكـون في تفصـيل الآيـات توضـيح لأوامر الله عـزّ وجّل ((يوضح آياته وأوامـره توضيحاً بيّناً))[138].

وتوضيح الله سبحانه وتعالى للآيات ((لكي يتبين طريق الباحثين عنه المطيعين لـه, كما يتبين طريق الآثمين المعاندين من أعداء الله))[139]. بدلالة قوله تعالى: ((وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ)).

واقترن تفصيل الآيات ببيان سبيل المجرمين العاصين لله سبحانه وتعـالى ((نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة أحوال المجرمين. ومن هو مطبـوع على قلبه لا يـرجى إسلامه, ومن يرى فيه إمارة القبول وهو الذي يخاف إذا سـمع ذكر القيامـة, ومن دخل في الإسلام إلا انه لا يحفظ حدوده))[140].

واسـتعمل التفصـيل هنا مجـازاً عن التوضـيح والإبانه ((نفصل الآيات : أي نميزها ونبينها))[141].

أما قوله تعالى: ((انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ)).

---

[133] التحرير والتنوير: 7/260.
[134] م ن.
[135] الميزان في تفسير القرآن:7/109.
[136] التبيان في تفسير القرآن: 4/151.
[137] التفسير الكبير:13/6.
[138] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:4/287.
[139] م ن.
[140] الكشاف:2/29.
[141] مجاز القرآن:1/193.

((الصرف: رد الشيء عن وجهه, صرفه يصرفه صـرفاً فانصـرف))[142]، و((تصـريف الآيات تبينها))[143].

و((الصاد والراء والفاء معظم بابه يدل على رجع الشيء))[144].

و((التصريف أعمال الشيء في غير وجهه كأن يصرفه عن وجه إلى وجــه))[145]. أي توضيح المراد منه وتفصيل الغرض الذي وضع من أجله.

اســتعار القــرآن الكــريم لفظ (التصــريف) للآيــات للدلالة على تنويع الآيــات بين الـترغيب تـارة والـترهيب تـارة أخـرى ((بـاختلاف أنواعها بـأن تـأتي مـرة بحجج من مشاهدات في السماوات والأرض, وأخـرى بحجج من دلائل في نفـوس النـاس, ومـرة بحجج من أحــوال الأمم الخالية الــتي أنشــأها الله فالآيــات هي دلائل الوحدانية فهي متحــدة في الغاية مختلفة الأســاليب متفاوتة في الاقــتراب من تنــاول الإفهــام عامها وخاصـها, وهي أيضا مختلفة في تـركيب دلائلها من جهة المقـدمات العقليـة, ومن جهة الـترغيب والـترهيب ومن التشــبيه والتــذكر, بحيث تســتوعب الإحاطة بالإفهــام على اختلاف مدارك العقول))[146].

كما يأتي التصريف حاملاً معنى التوضـيح ((نوضح لهم المعـالم والـدلائل على أمل أن يفهموا الحقائق ويعودوا إلى الله))[147].

ويتضح من تصريف الله سبحانه وتعالى للآيات بيان الحجج والدلالات[148].

وتصـريف الآيـات توضـيحها قيـل: ((انه تعـالى ما صـرف هـذه الآيـات إلا لمن فقه وفهم, فأما من اعرض وتمرد فهو تعالى ما صرف هذه الآيات لهم))[149].

اسـتعار القـرآن الكـريم لفظ (التفصـيل) للآيـات للدلالة على توضـيحها فأسـتعمله استعمالاً مجازيا فبـدلاً من قوله نوضح الآيـات ونبينها ونشـرحها قـال تعـالى: ((نفصل الآيات)) والله سبحانه وتعالى لم يفصل الآيـات بعضـها عن بعض تفصـيلاً حقيقيـاً لأنها شيء معنوي بل هو توضيح الآيات وتبيينها ولكن لكـثرة إطلاق التفصـيل على التوضـيح والتبيين صار التفصيل يحمل معنى حقيقيا يتمثل بالإبانة والإيضاح.

---

[142] لسان العرب, صرف:7/327.
[143] م ن.
[144] مقاييس اللغة, صرف:3/324.
[145] تاج العروس,صرف:12/318-319.
[146] التحرير والتنوير:7/235-236.
[147] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:4/303/304.
[148] ينظر الجامع لإحكام القرآن:7/11.
[149] التفسير الكبير:13/23.

أما (التصريف) بمعناه الحقيقي فيتمثل بصـرف الشـيء أي رجع الشـيء أو أعماله في غير وجهه والقرآن الكريم استعار هـذا اللفظ ليعـبر به مجازيـاً عن توضـيح الآيـات والدلائل والتنويع فيها بين الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى.

وعبر به القرآن عن شيء معنوي (الآيات) وذلك بشـرحها وبيـان ما فيها لمن يفقه ويفهم دلائل الله وحججه.

قوله تعالى: ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِـذُ أَصْـنَامًا آلِهَـةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَـكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)) (الأنعام/74).

ومن الأشـباه لفظ (أرى) في قوله تعـالى: (أراك وقومـك) ولفظ (نـرى) في قوله تعالى: (نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض) وعلى الرغم من إنهما من أشباه لكن القرآن الكـريم فـرق بينهما في الاسـتعمال. وقد تطرفنا إلى لفظ (نـري) في المبحث الأول وبينا أن القـرآن الكـريم اسـتعمله اسـتعمالاً حقيقيـاً ماديـاً يتمثل في مشـاهدة ملكوت السماوات والأرض. أما لفظ (أرى) هنا فـالقرآن اسـتعمله اسـتعمالاً معنويـات لإحساس إبراهيم بضلال أبيه وقومه.

وقد تطرقنا في المبحث الأول إلى المعنى اللغـوي للرؤية وسـنبين هنا دلالة (أرى) في قوله: (أراك وقومك).

استعمال القرآن الكريم لفظ (أرى) للدلالة على الرؤية قيل: إن الرؤية هنا معنوية قلبية ((أنها الفطـــرة تنطق على لســـان إبـــراهيم انه لم يهتد بوعيه وإدراكه إلى إلهه ولكن فطرته السليمة تنكر ابتداءً أن تكون هذه الأصنام التي يعبدوها قومه إلهة))[150].

واختلف المفسرون بشأن الرؤية الواردة هنا, فالرؤية الحقيقية تقوم على الظهـور والوضوح وقد صار ضلال أبيه وقومه واضحاً من تقربهم للأصـنام ((وكيف لا يظهر هـذا الضلال وهو عبادة وتذلل عبودي من صانع فيه آثار العلم والقدرة لمصنوعه الـذي يفقد العلم والقدرة))[151].

كما قيل: يجوز أن تكون بصـرية قصد منها في كلام إبـراهيم أن ضـلال أبيه وقومه صار كالشيء المشاهد لوضوحه في أحـوال تقرّبـاتهم للأصـنام من الحجـارة فهي حالة مشاهد ما فيها من الضلال وعليه فقوله: ((في ضلال مبين)) في موضوع الحال[152].

وقيـل: أيضا ((يجــوز كــون الرؤية علميــة، وقوله (في ضــلال مــبين) في موضع المفعول به الثاني))[153].

---

[150] في ظلال القرآن :2/1138.
[151] الميزان في تفسير القرآن:7/175.
[152] التحرير والتنوير:7/314.
[153] م ن.

والرؤية به تنبع من الإحسـاس البـاطني بالشـيء فـإبراهيم (عليه السـلام) أحس بضـلال أبيه وقومه وأعضد هـذا الإحسـاس ما شـاهده من عبـادتهم للأصـنام مشـاهدة عينية مما دفعه لمحاجتهم بقوله: ((أتَتَخذوُ أصنَاما آلهِةً...)).

كما يمكن أن يكون إبراهيم (عليه السلام) أدرك بعقله معرفة الله سبحانه وتعـالى ووجوب الاشتغال بشكره قيل ((لأن إبراهيم (عليه السلام) حكم عليهم بالضلال. ولـولا الوجوب العقلي لما حكم عليهم بالضـلال. لأن ذلك المـذهب كـان متقـدماً على دعـوة إبراهيم (عليه السلام). ولقائل أن يقول: أنه كان ضلالاَ بحكم شرع الأنبياء الذين كـانوا متقدمين على إبراهيم عليه السلام)) [154].

وقد اثبت إبراهيم (عليه السلام) وأقر ظلالهم: ((أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً)) تثبيتاً وتقريراً وهو داخل في حكم الإنكار لأنه كالبيان له[155].

وقد تكــون الرؤية هنا معنوية قلبية نابعة عن إحســاس بالأشــياء لا مشــاهدة لها وتعتمد على الإدراك لهذه المحسوسات والأشياء.

واختلف المفسرون بشـأن هـذه الرؤية فقيل إنها قد تكـون رؤية بصـرية مادية لأن إبـراهيم (عليه السـلام) شـاهد ما كـان من ضـلال أبيه وقومـه. أو تكـون علمية معنوية نابعة عن إحساسه بضـلال أبيه وقومه وان ما يعبدونه من الأصـنام لا تسـتحق العبـادة وان هناك خالق عظيم هو المستحق للعبادة.

ونميل إلى كون الرؤية هنا (أراك وقومـك) رؤية معنوية لأنها رؤية إلهـام في بـادئ الأمر ولفطرته الصـافية وإنكـاره عبـادة الأصـنام أيقنه الله بوجـود خـالق عظيم لهـذا الكــون بــأن أراهُ رؤية حقيقية ما يســتدل معها بوجــود الله في قوله تعــالى: (نُــري إبراهيم).

قوله تعالى: ((هُـوَ الَّذِي أَنشَـأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِـدَةٍ فَمُسْـتَقَرٌّ وَمُسْـتَوْدَعٌ قَـدْ فَصَّـلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ)) (الأنعام/98).

لفظ (المستقر) يناظر لفظ (المستودع) في كونهما مكث لكن في المستقر مكث دائم وفي المستودع مكث غير دائم بل يسترجع ما أراد صاحبه استرجاعه.

والقرآن الكريم استعمل لفظ (المستقر) و (المستودع) استعمالاً معنوياً مجازياً.

ذكر ابن القطاع: ((قر بالمكان يقر بالكسر والفتح وقـال ابن سـيده الأولى (أعلى) أي أكثر استعمالاً))[156].

و((قر بالفتح وتقرارة وتقرة والأخيرة شاذة ثبت وسكن فهو قـار, كمسـتقر وتقـار وهو

---

[154] الميزان في تفسير القرآن: 7/175.
[155] التحرير والتنوير: 7/314.

مستقر))[157]. و((القاف والدال أصلان صحيحان, يدل احدهما على برد, والآخر على تمكن, يقال: قر واستقر))[158]. وقال الليث ((المستقر ما ولد من الخلق وظهر على الأرض))[159], و((قر في مكانه يقر قرارا اذا تبث تبوثاً جامداً واصله من القر وهو البرد وهو يقتضي السكون))[160].

هذا بالنسبة للمستقر أما المستودع: ((الوديعة: واحدة الودائع, هي ما أستودع. والمستودع: المكان الذي تجعل فيه الوديعة, يقال: استودعته وديعة إذا استحفظته اياها. وقوله تعالى: (فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ)؛ المستودع في الارحام))[161]. و((الواو والدال والعين أصل واحد يدل على الترك والتخلية))[162].

والقرآن الكريم استعار لفظ (الاستقرار) في قوله تعالى: (فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ) للنفس الإنسانية واستعمل اللفظ استعمالا معنوياً للدلالة على النفس التي أنشأها الله من نفس واحدة.

واختلف المفسرون في المراد بالاستقرار والاستيداع في هذه الآية المباركة. ((فعن ابن مسعود: المستقر الكون فوق الأرض والمستودع الكون في القبر. وعلى هذا الوجه يكون الكلام تنبيهاً لهم بأن حياة الناس في الدنيا يعقبها الوضع في القبور وان ذلك الوضع استيداع مؤقت إلى البعث الذي هو الحياة الأولى رداً على الذين أنكروا البعث.

وعن ابن عبّاس: المستقر في الرحم والمستودع في صلب الرجل, ونقل هذا عن ابن مسعود أيضا، وقاله مجاهد والضحاك وعطاء وإبراهيم النخعي, وفسر به الزجاج))[163].

وان المراد بالمستقر هو: ((البعض الذي تلبس بالولادة من أفراد الإنسان فاستقر في الأرض التي هي المستقر لهذا النوع، والمراد بالمستودع من استودع في الأصلاب والأرحام ولم يولد بعد وسيولد بعد حين))[164].

ويتضح المراد بالمستقر ((أن الناس بعضهم (مستقر) أي ثابت, وبعضهم (مستودع) أي غير ثابت))[165].

---

156 ينظر: تاج العروس, قر :7/380.
157 م ن.
158 ينظر: مقاييس اللغة, قر:5/7.
159 تهذيب اللغة.قر:8/228.
160 المفردات في غريب القرآن:397.
161 لسان العرب, ودع:15/254.
162 مقاييس اللغة, ودع: 6/96
163 التحرير والتنوير: 7/396.
164 ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 7/304.
165 الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :4/371.

وقيل: إن المراد هنا ((منهم مستقر ومستودع, وإذا حمل على العموم, فانه يتناول كل أحد على تأويل من قال المستقر في القبر والمستودع في الحشر, وعلى تأويل من قال المستودع من كان في الأصلاب والمستقر من كان في الأرحام, لأن كل الخلائق داخلون فيه))[166].

وقد ذكر بأن المستقر هو ((الولد في الرحم، و(مستودع) في صلب الرجل ورفعمها على إضمار الصفة))[167].

وقد اختلف المفسرون في المراد بالمستقر والمستودع فقال احدهم بأن المستقر حالة بعد الموت لأنه إذا كان سعيداً فقد استقرت تلك السعادة, وان كان شقياً فقد استقرت تلك الشقاوة ولا تبديل في أحوال الإنسان بعد الموت وأما قبل الموت فالأحوال متبدلة.

وقال آخر: إن التقدير هو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمنكم مستقر وذكر، ومنكم مستودع أنثى إلاّ أنه تعالى عبر عن الذكر بالمستقر لأن النطفة إنما تتولد في صلبه وإنما تستقر هناك وعبر عن الأنثى بالمستودع لأن رحمها شبيه بالمستودع لتلك النطفة[168].

كما يقول: ((الفرق بين المستقر والمستودع أن المستقر أقرب إلى النبات من المستودع, فالشيء الذي حصل في موضع لا يكون على شرف الزوال يسمى مستقراً فيه وأما إذا حصل فيه وكان على شرف الزوال يسمى مستودعا لأن المستودع في معرض أن يسترد في كل حين وآن))[169].

وقد ذكر أبو عبيد معمر بن مثنى (ت210هـ) ((بأن (مستقر ومستودع) مستقر في صلب الأب, ومستودع في رحم الأم))[170].

وهنا استعار القرآن الكريم لفظ (الاستقرار) للنفس الإنسانية والمقصود بها هنا النطفة التي تستقر في صلب الأب وتستودع في رحم الأم على رأي بعض المفسرين, أو استقرار النفس الإنسانية على الأرض واستيداعها في القبر.

كما استعار القرآن الكريم لفظ (مستودع) واستعمله استعمالاً معنويا مجازيا للدلالة على استيداع النفس الإنسانية سواء في الرحم أم القبر، ثم استرجعها فهي وديعة وقوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)) الأنعام/159.

---

[166] التبيان في تفسير القرآن:4/214.
[167] معاني القرآن: 1/347.
[168] ينظر: التفسير الكبير:13/103.
[169] م ن.
[170] مجاز القرآن:1/201.

لفظ (التفريـق) في قوله تعـالى: (فرقـوا دينهم) ينـاظر لفظ (شـيع) في قولـه: (وكـانوا شـيعاً) ولكن القـرآن الكـريم فـرق بينهما في الاسـتعمال وقد تطرقنا إلى أن القـرآن الكـريم اسـتعمل لفظ (شـيع) اسـتعمالا حقيقيا ماديا للدلالة على الطائفة أو الفرقة أو الجماعة. أما لفظ (فرقوا) فالقرآن الكريم استعمله استعمالا معنويا مجازياً.

((الفـرق: الفلق من الشـيء إذا انفلق منه وفـرق بين القـوم ويَفـرِق وفَـرّق بينهم كفرق؛ وتفرق القوم تفرقاً وتفريقـاً))[171]. و((الفـرق: القسم من كل شـيء إذا أنفـرق والجمع أفراق. وقال ابن جني في كتاب الشواذ في قوله تعالى: (الـذين فرَّقـوا دِينهم) أي فرقوه وعضوه أعضاء فخالفوا بين بعض وبعض))[172]. وقـال الليث ((الفـرق: موضع المفرق من الرأس. والفرق: تفريق بين الشيئين حتى ينفرق))[173].

وقد استعار القرآن الكريم لفظ (التفريق) للدلالة على أولئك ((الذين فرقـوا دينهم بالاختلافـات الـتي لا محالة ناشـئة على العلم... ليسـوا على طريقتك الـتي بـنيت على وحدة الكلمة ونفي الفرقة إنما أمرهم في هذا التفريق إلى ربهم))[174].

وقد جيء بالفعل بصيغة الماضي " فرقـوا " ((لبيـان أصل التحقق سـواء كـان في الماضي أو الحال أو المستقبل لا يتحقق الفعل في الزمان الماضي فحسب))[175].

والتفريق هنا هو أنهم ((لم يتفقوا على صورة واحدة في الدين, فقد عبدت القبائل أصناما مختلفة, وكان بعض العرب يعبدون الملائكة, وبعضهم يعـبد الشـمس, وبعضـهم يعبد القمر وكانوا يجعلون لكل صنم عبادة

تختلف عن عبادة غيره. وقال ابن عبـاس: هم المشـركون. ويجـوز أن يـراد أنهم كـانوا على الحنيفيـــة, وهي دين التوحيد لجميعهم ففرقـــوا وجعلـــوا آلهة عبادتها مختلفة الصور))[176].

وقيل: بأنهم ((فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفـروا ببعض وقـرئ " فـارقوا دينهم أي تركوه"))[177].

وقيـل: بـأن هـذا الكلام موجه إلى ((المشـركين وقد ابتلـوا بتفريق الـدين الحـنيف وكان أيضا لأهل الكتاب نصيب من الكلام وربما لـوح إليهم بعض التلـويح ولازم ذلك أن

---

[171] لسان العرب, فرق, 10/244.
[172] ينظر: تاج العروس, فرق, 13/395.
[173] ينظر: تهذيب اللغة , فرق , 9/96-98.
[174] الميزان في تفسير القرآن :7/413.
[175] م ن.
[176] ينظر: التحرير والتنوير : 7/192.
[177] الكشاف: 2/79.

ينطبق قوله: (الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا) على المشركين بل عليهم وعلى اليهـود والنصارى لإشتراك الجميع في التفرق والاختلاق في الدين الإلهي))[178].

وقيل: بأن هـذا الكلام فيه مواسـاة للرسـول محمد (ص) والمقصـود بـالتفريق هنا ((إن الذين اختلفوا في الدين وتفرقوا فرقا وطوائف لا يمتون إليك بصـلة أبـدا, كما لا يرتبطون بالدين أبدا, لأن دينك هو دين التوحيـد, ودين الصـراط المسـتقيم, والصـراط المستقيم ما هو إلا واحد لا أكثر))[179].

واختلف في المراد بقوله تعالى: (فَرَّقُوا دِينَهُمْ) بـاختلاف القـراءات ((فقـرأ حمـزة والكسـائي (فـارقوا) بـالألف, وهي قـراءة علي ابن أبي طـالب (ع) ومن المفارقة والفراق. على معنى إنهم تركوا دينهم وخرجوا عنه. وقرأ الباقون بالتشـديد, إلا النخعي فإنَّه قرأ (فرقوا) مخففاً؛ أي آمنوا ببعض وكفروا ببعض))[180].

وقيل: بأن القرائتين معناهما متقارب ((لأن القرائتين يـؤلان إلى شـيء واحـد, لأن جميع ذلك مخـالف لما يوجبه دينهم, فهم بتفريقه من جهة أكفـار بعضـاً عن جهالة فيه مخالفون له, وهم بخروجهم عنه إلى غيره مفارقون له مخالفون))[181].

لقد استعار القرآن الكريم لفظ (التفريق) للدين وهو تفريق (معنـوي) للدلالة على تقسيم الـدين وتفريقه بالخلافـات أو الإيمـان ببعضه وتـرك البعض الآخـر، وقد اختلفت القـراءات بشـأن التفريق فقيل (فرقـوا) وقيل (فـارقوا) وتعـني الأخـيرة أنهم فـارقوا دينهم وخرجـوا عنـه. أما فرقـوا فتعـني أنهم آمنـوا ببعض وكفـروا بـالبعض الآخر ولكل قراءة معنى معيناً للتفريق.

---

[178] في ظلال القرآن : 2/413.
[179] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :4/286.
[180] ينظر: الجامع لإحكام القرآن :7/149.

الخاتمة:

بعد أن وصل البحث إلى نهاية مطافه تمخضت عنه بعض النتائج التي نجدها جديرة بالتسجيل والتثبيت؛ ليصل إلى الغاية التي كتب من أجلها:

1- إن الأشباه والنظائر في القرآن الكريم مبحث خصب لمن أراد أن يستزيد من علوم القرآن وإعجازه على المستويين اللغوي والأسلوبي.

[181] التبيان في تفسير القرآن : 4/328.

مصادر البحث ومراجعه

- خير ما نبتدأ به القرآن الكريم.

المصـادر:

1- أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، (ت 471هـ)، علق حواشيه محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، مصر، الطبعة السادسة، 1379 هـ، 1959م.

2- تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محب الدين محمد مرتضى الزبيدي الواسطي الحنفي (ت1205هـ)، دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1414هـ-1994م.

3- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 27 0هـ)، شرح ونشر السيد احمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لطبعة الثالثة، 1401 هـ-1981م.

2- إن القرآن الكريم أستعمل ألفاظ متشابهة للدلالة على معان مختلفة كما استعمل نظيراتها للغرض نفسه. فقد زاوج بين الاستعمال الحقيقي للفظ والاستعمال المجازي له لتوضيح المقاصد الإلهية.

3- إن ألفاظ الأشباه والنظائر في القرآن الكريم جاءت منسجمة مع أسلوبه المعجز الذي يتضمن فيما يتضمنه إمكانية التعبير بألفاظ متقاربة في المعنى على مدلولات كثيرة ومتشعبة، وقد تصل إلى المغايرة في المعاني.

4- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، (ت 460هـ)، تحقيق وتصحيح احمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، د.ط، د.ت.

5- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور(ت 1284هـ)، الدار التونسية، الدار الجماهيرية، د.ط، د.ت.

6- التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن بكر بن الحسن التميمي الرازي (ت 606هـ) ، دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية، د.ت.

7- تلخيص البيان عن مجازات القرآن، أبو الحسن الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى (ت406هـ)، مؤسسة نهج البلاغة، الطبعة الأولى، 1407هـ.

8- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن احمد الأزهري، (ت 370هـ)، إشراف محمد عوض مرعب، علق عليه عمر سلامي وعبد الكريم حامد، ، الطبعة الأولى، د.ط، 1421هـ-2001م.

9- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي (ت 671هـ)، مصححة أبو إسحاق اطفيش، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، 1965م.

10- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، 1362هـ-1943م.

11- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ)، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1424هـ-2002م.

12- دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)، صحح طبعه وعلق حواشيه السيد محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، د.ط، 1381هـ-1961م.

13- شرح المُفَصَّل، أبوعلي بن يعيش النحوي (ت 643هـ)، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ط، د.ت.

14- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ)، تحقيق السيد احمد صقر، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، د.ط، د.ت.

15- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت 175هـ)، ترتيب ومراجعة الدكتور داود سلوم، الدكتور داود سلمان العنكبي والدكتورة أنعام داود سلوم، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، 2004م.

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

16- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز آبادي (ت 718هـ)، تحقيق الدكتور يحيى مراد، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الأولى، 1429هـ-2008م.

17- الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت 538هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ-1997م.

18- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور (ت 711هـ)، نسقه وعلق عليه علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ-1988م.

19- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد (ت 638هـ)، تحقيق الشيخ كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ-1998م.

20- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن مثنى التميمي (ت 210هـ)، علق عليه الدكتور محمد فؤاد سزكين، الناشر محمد سامي أمين الخانجي الكتبي، مصر، الطبعة الأولى، 1374هـ-1954م.

21- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفرَّاء (ت 207هـ)، تحقيق احمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، 1980م.

22- المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، الميمنية، القاهرة، د.ط، 1324هـ.

23- مقاييس اللغة، أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا، (ت 395هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الدار الإسلامية، د.ط، 1410هـ-1990م.

المراجـع:

24- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزَّل، ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ-1992م.

25- رسالة الأشباه والنظائر في القرآن الكريم تاريخ وتطور، تقدَّم بها عبد الرحمن مطلك وادي الجبوري، إشراف الدكتور حاتم صالح الضامن، 1407هـ-1986م.

هوامش البحث

26- في ظلال القرآن، سيد قطب بن إبراهيم، دار الشروق، بيروت، الطبعة التاسعة، 1400هـ- 1980م.

27- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، مطبعة واوفيست الأدباء، النجف الاشرف، د.ط، د.ت.

28- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، دار الكتب الإسلامية، د.ط، 1361-1362هـ.